المجلس الثالث

القصيـدة:

قد أوهنت جلدي الديار الخالية.

الموضـوع:

الهجرة الروحية والجسدية وآدابها.

المصيبـة:

خروج الحسين (ع) من المدينة وتوديع فاطمة العليلة.

صلـــى الله عليـــك يـا رسول الله صلى الله عليك وعلى آلك المظلومين
صلى الله عليك يا سيدي ومولاي يا ابا عبدالله صلى الله عليك يابن رسول الله
وابن أمير المؤمنين وابن فاطمة الزهراء عليك منَّا سلام الله ابدا ما بقينا وما بقى الليل

آآه...

قد أوهنت جَلَدي الدّيارُ الخاليه من أهلها ما للدّيارِ وما ليهْ
ومتى سألتُ الدّارَ عن أربابها يُعِدُ الصّدى منها سَؤالي ثانيه
كانت غياثاً للمنوب فأصبحت لجميعِ أنواعِ النّوائبِ حاويه
ومعالمٌ أضحت مآتمَ لا تَرى فيها سوى ناعٍ يجاوِبُ ناعيه
ورد الحسينُ إلى العراق وظنّهم تَركوا النفاق إذا العراقُ كما هيه
ولقد دعَوهُ للعَنا فأجابهم ودعاهم لهدى فردُّوا داعيه
قست القلوبُ فلم تَمِلْ لهدايةٍ تباً لهاتيكَ القلوب القاسيه
ما ذاق طعم فراتِهِم حَتّى قضى عطشاً فغُسِّلَ بالدِّماءِ القانيه
تبكيكَ عيني لا لأجلِ مثوبةٍ لكنّما عيني لأجلِكَ باكيه
تبتلُّ منكم كربلا بدمٍ ولا تبتلُّ منِّي بالدُّموعِ الجاريه
أنست رزيتُكم رِزايانا التي سلفت وهوَّنت الرزايا الآتيه
وفجائعُ الأيامِ تبقى مُدةً وتَزولُ وهي إلى القيامةِ باقيه

آآه...

لنوحن وقضي العمر بالنوح واعمي عيوني واتلف الروح
يابا شلون الصبر وحسين مذبوح

(أبوذيّة):

دمعتي احمرّت ابعيني ولا جيت على الهامت بوادي الطف ولا جيت
تصيح اعتب يبو الغيرة ولا جيت تحاميني وترد اخيول اميّه

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ ءامَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ[1] }.

إن الهجرة في الإسلامِ لها فضلٌ وأجرٌ وفوائدُ، وهي نوعان: الهجرة النفسية، والهجرة الجسدية.

فالهجرة النفسية: تعني إنتقال النفس من حالة إلى أخرى بحسبَ حالة الإنسان وفكره وعمله; فتارة تكونُ نفسه أمَّارة بالسوء; أي تأمر الإنسان بفعلِ المعاصي; قال تعالى: {وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي[2] }.

وتارة تكون نفساً لوامة: وهي التي تلومُ نفسها عند التقصير، وتحاسبها قال تعال: {لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ[3] }.

وأخرى تكون النفسُ مُطمئنّة: أي مطيعة لربها عاملة الصالحات، ولا تُعصيه ولا تُخالفه قال تعالى: {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي[4] }.

فعلى الإنسان أن يكونَ دائماً في حالة هجرة نفسية إلى ربِّهِ فيهجر المخالفة والذنوب والمعاصي إلى طاعة ربه والتوبة، فيهجر الكَذِبَ إلى الصّدقِ، ويهجر الغيبة وكثرة

---

1 البقرة: ٢١٨
2 يوسف: ٥٣
3 القيامة: ٢
4 الفجر: ٢٧

وصف الناس، ويهجر النميمة وكثرة نقل أحاديث الناس، ويهجر الحسد والحقد وقطع الرحم وأذية الآخرين وما أفسدت وتُفسده نفسه إلى كل ما يصلحها.
ويَنتقلُ بنفسه الأمَّارة بالسوءِ إلى النفسِ المطمئنة برحمةِ اللهِ بعملِها الصالحِ وبطاعة الله وبأجره وثوابه فيكون مهاجراً إلى ربِّهِ من جهةِ السوءِ إلى الخيرِ.
وأمَّا الهجرة الجسدية فهي إنتقال الإنسان من مكانٍ إلى آخرٍ طوعياً أو إضطرارياً. ولهذه الهجرة أسباب متعددة منها: تحصيل العلم،أو العمل، أو الخوف على النفس، وما أكثر هذه الهجرة وخاصة في بلادنا العربية بسبب العنف والحروب المتكررة والمستمرة في فلسطين والعراق واليمن وسوريا ولبنان، فيضطرُّ الإنسانُ إلى الهجرةِ والخروجِ من بلدِه هرباً من القتلِ. وهنا لا بُدَّ أن نُذكِّرَ العوائل المهاجرة بضرورة إحترام البلد الجديد الذي آمننَنا من الخوفِ، والتقيُّد بقوانينه وعدم مخالفتِها، وأن نكونَ نموذجاً صالحاً حسناً في المجتمعِ الجديدِ، وخاصةً إذا كانت هجرتنا إلى بلدٍ أجنبي غير مسلم، فإننا نحمل هوية الإسلام، وهذه مسؤولية كبيرة تقع على عاتق كل مسلم مهاجر بإظهار أخلاقنا الإسلامية والعيش بسلام ومحبة، والإهتمام بالدعوة وإقامة الشعائر الدينية.
وهناك نوع مهم من الهجرة، وهو الهجرة من أجلِ حفظِ الدينِ بعدما يتهدد الإنسان بالقتل أو الأذية، ويمارَس عليه التضييق بسبب انتمائه الديني ومعتقداته، وممارسة شعائره الدينية فيُهاجر من مكانهِ إلى مكانٍ آمن يأمنُ فيه على نفسِهِ ودينهِ، ويَستطيع فيه ممارسة شعائِره الدينية بحُرِّيةٍ دون خوف أو تضييق.

وهذه الهجرة أقدم عليها أغلب الأنبياء الذين تعرضوا في بلدِهم ومع قومهم إلى ظلم واضطهاد وأذية، ومنهم أبو الأنبياء إبراهيم (ع)؛حيث تَعرَّض للرمي بالنار بعد إعلان إيمانه بالله وتوحيده ،ولم يأمن على دينه ونفسه مع قومه فهاجر مع زوجته من العراق إلى بلاد الشام، وكذا الحال مع نبي الله لوطا فهاجر مع عائلته من قريته خوفا على دينه، وكذ الحال مع نبي الله موسى لم يأمن على نفسه في مصر بوجود فرعون فهاجر منها،وحتى خاتم الأنبياء والرسل الحبيب المصطفى محمد (ص) بعدما آذوه في مكة ومن معه بسببِ دينِه وإسلامِه،وبعدما حاولت قبائل قريش قتله اضطرَّ إلى أن يهاجرَ من مكة إلى المدينة خوفا على الإسلامِ ولِحفظه.

وهنا نعودُ إلى وارثِ الأنبياءِ سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين (ع)الذي إضطرَّ أن يهاجرَ من مدينة جده ومسقط رأسه ومدفن أمه وأخيه، ويَخرجَ خائفِاً على دينِ جدِّه (ص)، فبعدما مات معاوية اغتصب ابنه يزيد خلافةَ المسلمين كأبيهِ، فأرسلَ إلى وَالي المدينة يطلب منه أن يأخذَ البيعة من الحسين (ع) وإن أبى فلتضرب عنقه.

وهكذا حصل حيث رفض الإمام الحسين(ع) البيعة ليزيد وأعلن عن ذلك بِقوله (ع) لوالي المدينة الوليد بن عتبة: "إنَّا أهل بيت النبوة أو معدن الرسالة أو مختلف الملائكة، ومحل الرحمة، بنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق شَاربُ الخمورِ وقاتلُ للنفسِ المحرَّمة، مُعلنٌ بالفسق، ومِثْلِي لا يبايعُ مثله، ولكن

نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أيّنا أحَقّ بالخلافة والبيعة". فخرج من دارِ الإمارة إلى مسجدِ جدِّه رسول الله (ص) فأتى قبره وقال: "السلامُ عليكَ يا رسول الله، أنا الحسينُ بن فاطمة، فرخك وإبن فرختِك، وسبطك الذي خلّفتني في أُمّتك، فاشهد عليهم يا نبي الله أنهم خذلوني ولم يحفظوني، وهذه شكواي إليك حتى ألقاك" ولم يزل راكعاً وساجداً حتى الصباح. لقد كان الحسين (ع) يعلمُ أنَّ ساعة فراقه لجدّه ومدينته قد اقتربت، وهذه الساعات تمرّ سريعاً، فهو (ع) يُريدُ أن يَتزوّدَ من الصلاة والدعاء وزيارة قبر جدّه (ص).

وفي الليلة الثانية، وهي الليلة الأخيرة للحسين (ع) بالمدينة، حيث قضاها أيضاً بجوارِ قبر جدّه (ص)، حيث وقف أمام القبر الشريف حزيناً كئيباً يُناجي ربه عند قبر المصطفى (ص): اللهمّ إن هذا قبرُ نبيّك محمد، وأنا إبن بنت محمد، وقد حضرني من الأمر ما قد عَلِمت، اللهمّ إنّي أحبُ المعروف وأُنكر المنكر، وأنا أسألك يا ذا الجلالِ والإكرامِ بحقِ هذا القبر ومن فيه، إلاّ ما اخترت لي ما هو لك رضاً ولرسولك رضاً. ثم جعلَ يبكي عند القبر، حتى إذا كان قريباً من الصبح، وضعَ رأسَه على القبرِ فغفى، فإذا هو برسولِ الله قد أقبلَ في كتيبة من الملائكةِ عن يمينِه وشمالِه وبين يديهِ ومن خلفهِ، فجاء وضمّ الحسين إلى صدرِهِ، وقبّله بين عينيه وقال: "حبيبي يا حسين، كأني أراكَ عن قريبٍ مُرملاً بدمائِك، مذبوحاً بأرضِ كربلاء، بين عصابة من أمتي، وأنت في ذلك عَطشانٍ لا تُسقى، وظَمآنٍ لا تُروى، وهم في ذلك يرجون شفاعتي، ما لهم لا أنالهم الله شفاعتي..."

فجعلَ الحسينُ (ع) في رؤياه ينظر إلى جدّه ويقول: "يا جدّاه، لا حاجة لي في الرجوع إلى الدُنيا فخذني إليك وأدخلني معك في قـــبرك."...

(بحراني):

ضِـمّني عندكَ يا جَداهُ في هذا الضَريح علنّي يا جدِّ من بَلوَى زماني أستَريح
ضاقَ بي يا جدِّ من رُحْبِ الفَضا كل فسِيح فـعَسـى طـوَدُ الأسَـى يَندَكُ بين الدكَتيْن

(نعـــي):

وصل ويلى قبر جدّه وبكى حسين يودعــه والدمـع يهمل من العين
هوى فوق الضريح وصاح صوتين يجـدي مفـارقك غصبـاً عليــه
يجدي بوسط لحدك ضمني وياك تراني الضيم شفتــه عقب عيناك
يقلــّه يـــــا حبيبـــي إهنـــــاك وعدك تروح وتنذبح بالغاضريـه
تروح وتنذبح يحسين عطشان وتبقه أعلى الأرض مطروح عريان
يظل جسمك لصد الخيـــل ميـــدان ولا تبقــه من ظلـوعك بقيّـه

ويذكر أن طفلة عليلة كانت للحسين (ع) تُسمّى فاطمة وتُلقّب بالعليلة، مَنعَ مرضها الحسين أن يأخُذَها معه، بل تركها وديعة عند أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها. فلم تستطع هذه الطفلة تَحمّل ما سَمعت، كيف تُترك وحدها ودار أبيها ودور أعمامها وأخوتها خالية موحشة، وأين تتجه وإلى من تشكو حالها وعِلّتها؟

وكيف تقوى على تَحمُّل فراقهم والتصبّر على جمرِ غُربتهم. فأخذت تَتوسلُ بأبيها الحسين أن يأخذها مع أهلها وأحبتها:

(عاشوري):

يبويه حسين ويّاكم اخذوني آه آه عقبكم يا هلي يعمن عيوني
وحدي بهالوطن لا تخلوّني آه آه عليلة والجسم يلّظم بالسمْ

فحاولَ الحسين (ع) بيان صعوبة السفر عليها، وأنهم سيبعثون وراءها إذا استقر بهم المقام، وجاءت الأيام بما لا يتمنون ولا يَرْجُون:

ناداها الحسين ودمعته تسيل يَبعُد أهلي سفرنا دربه اطويل
يبويه انتي عليله وجسمك نِحيل وعلى المِثلك يبويه السفر يِحرم
يبويه رديّ وتميّ ابها لدار وكل يوم اليمر نبعثلك أخبار
يبويه لو شفت لينه الفلك دار تجينه انتي وشملنه هناك يلتم
تقله شلون أتمْ بالدار وحدي عليكم ما اقدر اصبر وحق جدّي

ثم سارَ الركبُ الحزين وهي تَنتقلُ من هودجٍ لهودجٍ ومن مَحملٍ لمحملٍ تَتوسّلُ وتبكي، وبَقِيَت في دارِها تَنتظرُ حتى رَجعت عمتُها زينب، وأخبرَتها بفاجعة كربلاء، فصاحت وا أبتاه:

(نعي):

أنا لقعد على درب الضعون أسايل اللي يرحون ويجون
كل من لها غياب يلفون وأنا غايبي في اللحد مدفون

ابكي على مَن بقلبي حبَّهم طبعوا غابوا وعن ناظري طيب الكرى منعوا
نذرٌ عليّ لئِن عادوا وإن رجعوا لازرعنّ طريق الطف ريحانا

يا الله نسألك يا محمود بحقِّ محمد، يا عالي بحقِّ علي، يا فاطر السموات والأرض بحقِّ فاطمة، يا محسن بحقِّ الحسن، يا قديم الإحسان بحقِّ الحسين، فرِّج عنّا يا الله، نفِّس غمَّنا، قضِ حوائجنا، غفِر ذنوبَنا، وارْزُقْنا في الدُّنيا زيارة الحسين وفي الآخرة شفاعته والحشر معه، برحمتك يا أرحم الراحمين.